

زخور راهب ومعلم اللغة العربية في مدينة باريس وذلك في يوم السبت الواقع في

١٤ من شهر تموز سنة ١٨٠٧

٣٩١ ﴿زنده﴾ اغوستينوس الحلبي كان في اواخر القرن الثامن عشر . له في

دير بزمار تمريب لمواظف احد الآباء الكوشيين في مجلد ضمن

٣٩٢ ﴿زوين﴾ جرجس الماروني التوفي في ٢٨ تموز ١٨٩٢ حرر عدة جرائد ونقل

الى العربية كتباً دينية وادبية منها مصباح الهدى لمن اهتدى وكتاب رواشن

الافكار لاومبرتوس وكتاب كنيسة الروم الشرقية بازا . المجمع الفاتيكاني وروايتي

وردة وفريدة المغرب وردود على الدكتور ميخائيل مشاقفة . وله عند اسرته متفرقات

ادبية وتاريخية لم تنشر بالطبع (له بقية)

## كشف الحفاء عن المحابس والحجساء

يقام الاب لياوس داغر كاتب اسرار الرئاسة العامة اللبنانية

### مقدم

اني لما كنت آخذاً في نشر ما اتصل الي من اخبار الحجساء الذين اتخذوا السيرة  
الفسكية في محابس رهبانيتنا اللبنانية وما عرفته من تاريخ هذه المحابس ومواقفها  
«مدحاً لآبائنا الذين خلفوا اسماً يجبر بدحهم» (ابن سيراخ ص ١٤) وانتاراً باس  
سيدي قدس الاب العام اثناطيوس التتوري الجزيريل التقوى الذي اوغر الي بعد  
طبعي «نية القلوب في حبس حوب» ان اجمع ما كنت علقته على اوراقي عن الاب  
شربل الحليس وهو حي . وتعمياً للنادة واتماماً لرغبة الكثيرين من محبي الاطلاع  
على اخبار السنن رأيت ان امهد لذلك بذكر ما امكنتني الوصول اليه من تاريخ  
المحابس والحجساء الذين كانوا في اغوار جبلنا المبارك ومشاركه قبل نشأة رهبانيتنا

فقدسوه بأعمالهم الحسنة وسيرتهم النكية الفاضلة  
فسمى هذا التأليف الصغير بروق الادبا- ويحمل اخواني الرهبان يزيدون زهداً  
في الدنيا وثباتاً في بحجة الفضيلة ورسوخاً في كالمهم الرهباني ويكسب العالمين نفعاً  
لنفسهم اذ يرون في سيرة هؤلاء النساك الفضلا- ما يدفعهم الى ان ينشطوا الى اقام  
واجباتهم الدينية راغبين عن تليقات العالم وملذاته الدنية متخذين للمسلك في الطريق  
الضيق المردي الى السعادة الابدية متكئين عن الدخول في الباب الرحب الذي ليس  
لمن يلجئه الا العذاب الابدى الاليم

### ١ في اصل المحاسن والخصائص في لبنان

ما من احد ممن لهم الام في تاريخ لبنان يجهل ان الحياة النكية حياة الانفراد  
في الصوامع قد نشأت منذ القديم وقد درسها اجدادنا على اساتذة ماهرين تلقوا  
قواعدها ممن نبغوا فيها واستوها من الينبع

ان أرسلنا رائد الطرف الى اواسط الجيل الثالث زى القديس بولا العظيم لول  
السائح والخصائص ناهجاً طريق الانفراد وشانداً معالم النك ومعلماً ضروب الامانة  
فقد هجر العالم واعتزل الناس وهو في السن الثانية عشرة وقضى في غارم نيقاً وثمانين  
سنة متعزياً عن كل غنى متردياً بثوب من خوص النخل يقات بما كان يأتيه به احد  
الريان كل يوم وهو نصف رغيف من الخبز

ولا شك في ان القديس انطونيوس الكبير ابا الرهبان وكوكب البرية الذي انشأ  
العيثة النكية في الاديار المصرية قد اخذ عنه عند ما زاره في مغارته قبل غروب  
شمس حياته طريقة الخصائص ولتأنها تلاميذه العديدين فأرسوها حتى كنت ترى براري  
مصر مساكن للنك ومجالس للخصائص.

وقد افادنا علامتنا السعاني في مقدمته على كتاب قانوننا الرهباني ان القديسين  
ايلاريون الفلطيني المولد وآيون (١) السرياني قد تثلنذا للقديس انطونيوس في مصر  
وعاد الاول الى فلسطين وانشأ الطريقة الملائكية فيها وقصد الثاني ما بين النهرين

(١) هو القديس اوجين والريان يلقبونه ايون كقول السعاني عند كلامه عن هذا

فكان أباً لرهبان السريان والكلدان . ولا بد من ان يكون القديس مارون ابر طائفتنا المارونية لقربه من القديس ابرن اخذ عنه طريقة النسك والانفراد فسارتني الى قة جبل قورش في اواخر الجبل الرابع يمارس ضروب الامانة والتقشف او انه اختار هذه العيشة متقاداً بما سمع عن القديس انطونيوس . وقد اثنى المعلم ثاودوريطوس عليه وعلى تلاميذه الكثيرين في مقدمة كتابه فيهم قائلاً : « كان يلد لي ان اطوف في براري قورش وأنعم عينا بهذه الازهار العجيبة التي يزوي عرفها بانفجر الطيوب »

على ان القديس مارون على ما روى المعلم المذكور كان له ايضاً تلميذات حبت كل واحدة منهن نفسها على قة جبل معرشة لحر الصيف وبرد الشتاء تحت جو السماء او في اكراخ حقيرة وصغيرة مثل مارانا وكورة ودومينا فلا عجب اذا كان مثل القديسين انطونيوس وابرن ومارون وايلاريون حمل نصارى لبنان على التشبه بهم

وقد افادنا حضرة العالم الاب لامنس اليسوعي في كتابه « تزيح الابصار » قائلاً :

« لا غرو انه بوشر مذ ذلك العهد اي بين الجبل الرابع والخامس بانشاء المحابس في لبنان بيد ان التاريخ لم يذكر من امرها شيئاً لقله اعتبارها . وانما روى اخبار مناسك اشخري تدعى مسدرة (Μαυδρα) وسماها حظيرة النمل ربما كانوا يدعون بعض هذه المناسك لرا (Λατρηα) او قنوين (Κωνοβιον) وسماها المندي . وقنوين اشهر في لبنان »

وقال حضرة ايضاً :

« ومن الاديبار التي ترتني الى بواخر القرن الرابع واراثل الخامس عدلون بين صيدا . رصور فان فيها عند البحر مخرّاً عالياً نُقِر فيه نحو ٣٠٠ كهف »

ثم قال :

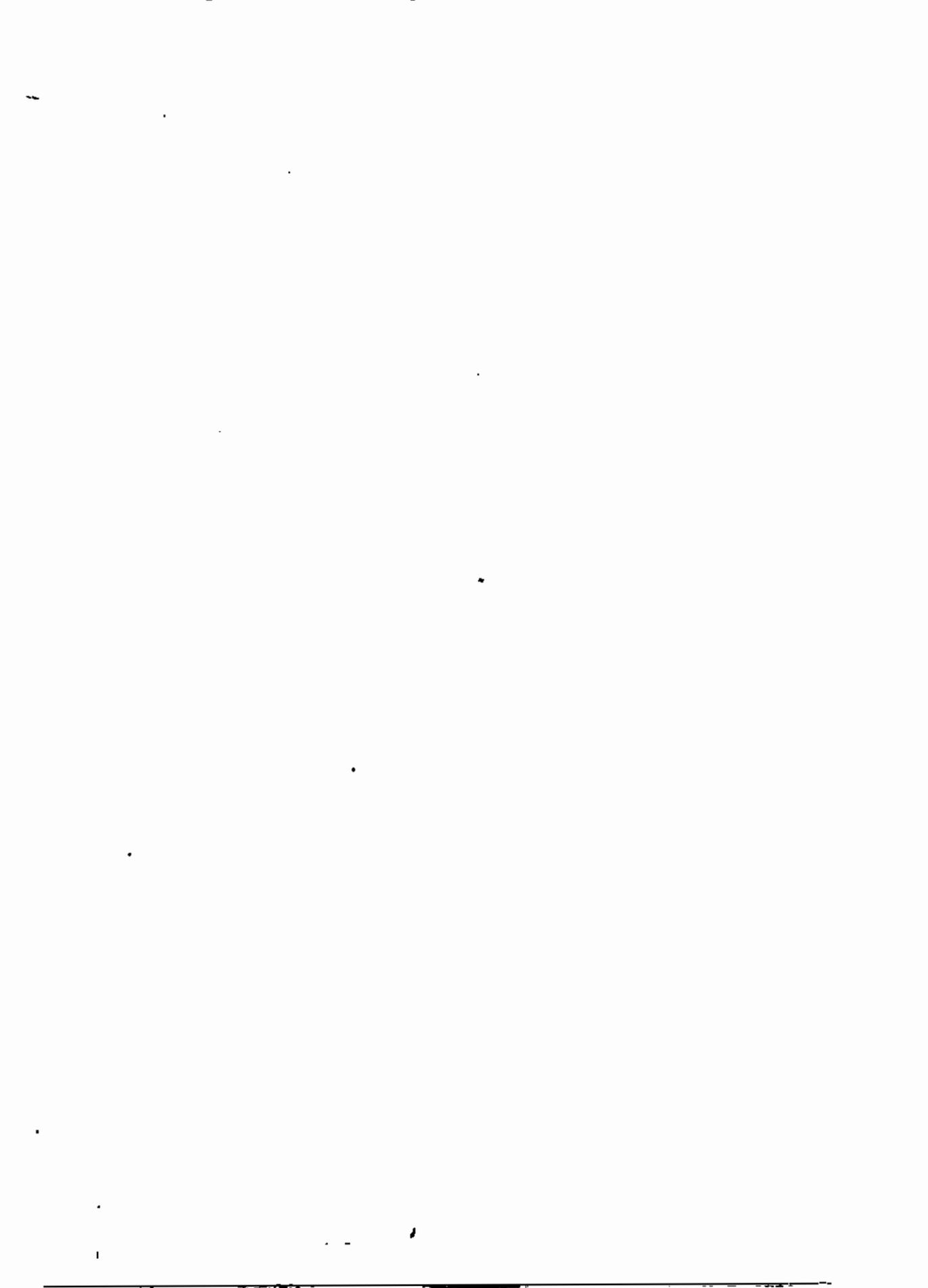
« قد تطرّ لبنان بمسائل بعض القديسين في اواسط القرن الخامس فخصّ منهم بالذكر القديسة . طرونا . ولدت في آيا الصغرى ثم ابنت دبراً في حمص وانتقلت اشخيراً الى بيروت . والقديس بولا السباطي قدم الى بيروت ثم نبهده في جبال لبنان المتزلّة . وفي سنة ٥١١ طرد الملك انثاس من القسطنطينية عدداً غفيراً من الراهبات المستنبات الايمان فقصدهن لبنان

فَسَأَلَ اللَّهُ مَلَجِحِجِ الْأَرْضِ نَفْسًا حَيَّةً لِأَصْنَافِهَا بِهَيْمٍ  
 وَدَبِّيَابٍ وَوَحْشِ الْأَرْضِ فَكَانَ كَذَلِكَ فَصَنَعَ اللَّهُ  
 وَحْشَ الْأَرْضِ لِأَصْنَافِهِ وَالْبَهَائِمَ لِأَصْنَافِهَا وَكُلَّ  
 دَبْيِ الْأَرْضِ لِأَصْنَافِهِ وَعَلَّمَ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ جَيْدُهُ  
 وَقَالَ اللَّهُ فَلَمَّصَنَعَ إِنْسَانًا بِصُورَتِنَا كَسْبِهِنَّ  
 يُسْقِي عَلَى شَبْهِكَ الْبَحْرَ وَطَيْبَ السَّمَاءَ وَالْبَهَائِمَ  
 وَجَمِيعَ الْأَرْضِ وَسَائِرَ الدَّبْيِ النَّابِ عَلَى الْأَرْضِ  
 فَخَلَقَ اللَّهُ أَحْمَرَ بَصُورَتَهُ بِصُورَةِ الْوَيْهَمِ خَلَقَهُ  
 ذَكَرَهُ وَأَنْشَأَ خَلْقَهُ وَبَارَكَ فِيهِمَا اللَّهُ وَقَالَ لَهَا  
 اللَّهُ امْشُرِي وَارْكُزِي وَعَمَّا الْأَرْضَ وَأَمْلِكِيهَا  
 وَاسْتَوْلِي عَلَى شَبْهِكَ الْبَحْرَ وَطَيْبَ السَّمَاءَ وَسَائِرَ الْحَيَاةِ

فِي التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ تَمَّعَ شَتَا سَبْعِ الْأَخْرِفِ سَنَةٍ

شَيْبِ رَحْمَتِينَ وَتَمَّعَ مِثْلَهُ لِلْبَحْرَةِ

مثال من النسخة المخطوطة القسطنطينية



وانخذتة لمرّة سكناً وصرّفة يرف فثالثين . وفي اختبارهم لبنان للزلة دليل على ان اهل كانوا يرذلون الشيعة الاطناية »

على اننا وان لم يمكننا الفروض المتحوذ على تواريخ تلك القرون قرون الجهل من الاطلاع على اسما الحبا واعمالهم ومواقع المجالس التي قطنوها فع ذلك نقول ان وجود النساك والحبا في لبنان قبل القرن الثالث عشر امر ثابت من آثار الاديار والمحاسن القديمة واطلاها . ثم ان العلامة نلذك في المجلة الاسوية الالمانية يعزو بعض فقر تاريخية كُتبت باللغة السريانية الى كاتب ماروني وذهب انه كان راهباً او ناسكاً لكثرة ما ورد في تلك المقاطع من اسما الاديار والناسك . وقال العلامة ريت (Wright) انها حُطت في القرن الثامن او التاسع مستدلاً على قدميتها بصورة كتابتها . وقد ذكر ذلك السيد يوسف الدبس في تاريخه الجامع المفضل (ص ١٧٦)

وقد عدّد هذا العلامة اديار الموارنة التي عرفها الى آخر القرن الثاني عشر قال :

« ان اول اديار الموارنة دير القديس مارون الذي بُني على العاصي . والثاني مار يوحنا مارون في كفرحي . والثالث دير السيدة العذراء في يانوح . والرابع دير السيدة في ميغوق . والخامس دير القديس الياس في ملند . والسادس دير السيدة في هايل . والسابع دير قزحيا . والثامن دير القديس يوحنا في كوزبند قبرس . والتاسع دير كفتون (١) والمشر دير قنوين وهذا قدم جداً . والعاشر دير القديس سر كيس في حردين . والثاني عشر دير القديس البشاع في بشراي الخ

وروى ايضاً في تاريخه المذكور انه وُجد في الكتاب السابع من الكتب السريانية المخطوطة التي نقلها السعاني الى المكتبة الوايكانية ( في صفحة ٢٦٢ منه ) هذه الحاشية بالسريانية وترجمتها :

انا الخفير الراهب سمان (٢) كتبت هذه الاطر في هذا الكتاب الذي نسخته لايشا الطوباوي بطريركنا مار بطرس بطريرك الموارنة الياسكن في دير ميغوق القديس في وادي ايليج من عمل البترون الى ان اسرني ان اكون رئيساً وناظراً على دير القديس يوحنا في ارض كوزبند بجزيرة قبرس في ايام الرهبان الساكنين في دير القديس يوحنا المذكور وهذه اسماهم : الراهب داود . القس موسى . الراهب يوسف التحومي . والراهب جيورجيوس . والراهب دانيال »

وكان ذلك في سنة ١١٢١ ولما توفي القس سمان ارسل البطريرك يعقوب

(١) انتقل قبا بعد الى الروم الارثوذكس غير اننا لم نختو الى زمان انتقاله

(٢) كان كاتب اسرار البطريرك بطرس المذكور

الراماتي خلقاً له القس دانيسال من رهبان دير كفتون في سنة ١١٤٠ . وقد علق  
البطريرك يوحنا اللخندي على كتاب اناجيل قديم منبثاً انه حضر اليه سنة ١١٥٤  
الراهب اشعيا من دير قزحيا ورأسه على دير الكوزبند في قبرس  
وذكر المطران اسطفان عواد وقتل كلامه المطران يوسف الدبس انه رأى معلقاً  
على كتاب الاناجيل بخط البطريرك ارميا المشيقي ما نصه :

« قد استراحت الزاهبة سارة في اليوم الثامن من آب سنة ١١٩٩ فتكن اهلاً للذكر  
الصالح لاخا تبت كثيراً في دير القديس سركيس في حردين » (وقال) انه « كان عند الموارنة  
قديماً ما عدا راهبات الاديرة راهبات حبيسات فهؤلاء بعد ان يمسن في الدير ثلاث سنوات  
ينظمن في صومعة قريبة من الدير متحجبات عن مآثرة الناس كما كانت تلبسات القديس  
سارون كورا ومارانا ودرينتا »

فما ذكر يتج حقيقة وجود اديار ومحابس في لبنان للرهبان والراهبات قبل القرن  
الثالث عشر . واما بعد هذا القرن فقد كثرت المحابس والحبساء كما يفيدنا البطريرك  
اسطفان الدويهي فقد ذكر انه في سنة ١٤٤٥ انتخب يعقوب بن عيد الخدي بطريركاً  
وكان منذ صغره قد تربى في السيرة الملكية في محبة القديس سركيس شرقي دير  
مار يوحنا المعروف بجار ابون ١١ وكان لرئيس هذه المحبة الرئاسة على جميع المحابس  
في جبة بشراي . وفي سنة ١٤٩٥ بنى القس بركات البقروفاوي محبة مار ميخائيل  
بقرب دير قزحيا فانفرد فيها الى نهاية حياته الظاهرة وخلفه القس موسى من السيونة  
ثم القس يعقوب من بلاد البترون ثم القس يوحنا ميخايل ثم القس جبرائيل ثم الخوري  
ميخايل وهؤلاء الاربعة من اهدن . وفي تاريخ سنة ١٥٤٢ ذكر وفاة الاب العابد  
الزاهد الخوري يوان المترقي ورئيس الحبساء وقد كتب عنه تلميذه الحليس جبرائيل  
الاهدني انه خدم ربه مدة خمسين سنة بطهارة وعبادة لا مثيل لها وقبل ان يقضي  
اجله بمدة اربع سنين اخذ يزيد في تنسكه وتقشفه حتى انه في جمعة الآلام كان يركع  
اربعية وعشرين الف ركعة الى الارض وفي سائر ايام الصوم كان يركع حتى يجري  
عرقه . . . واما من حيث الرحمة والحنو فلم يكن له مثيل يشبهه في عصره . ولما اخذ  
تلميذه الحليس جبرائيل في كتابة شيء من سيرته صرح بجزءه عن ذلك قائلاً : «ها

اني انا الحقيير ارمي القلم من يدي الحاطنة لئلا يقول القارئ كيف ان هذه الشجرة  
 الثرة اخرجت هذه الثرة العنقة المرّة . وشهد ايضاً تلميذه الحورى يوحنا اللبغدي  
 انه لما فرغت خابية الزيت فبقوة الله وصلاة معلمه امتلأت وطفحت حتى اخذته  
 الحيرة والدهشة واصبح لا يعلم ابن هو . فالتفت اليه معلمه وقال : له مجد ربنا  
 يسوع المسيح وانظر الى عجايبه على يد اقل عبده . ثم اوصاه ملحقاً عليه ان لا يجبر  
 بذلك احداً قبل وفاته . ولما حضرته المنية ارسل الى البطريرك موسى والمطران  
 قريانس الاهدني يطلب منهما الحلة والبركة . فحضر اليه كلاهما . ثم اسلم الروح بيد  
 الحاقق فشاخ خبزهُ واجتمعت الروسا . والاخوة وتقاطر جميع اهل البلاد الى دير  
 قزحيا ليتبركوا من جسمه الطاهر . وبعد ان طافوا به بالكاء والدموع دفتوه في  
 الحبة . ويقال ان جسده لم يزل محفوظاً حتى الآن . وبعد مدة يسيرة من وفاته توفي  
 ايضاً تلميذه الحورى يوحنا اللبغدي الذي كان قد شابه في برارة السيرة وقداستها .  
 خدم معلمه اربع عشرة سنة وهو يتقلب على اوجاع المرض . وفي اسبوع الآلام كان  
 يركع ستة وعشرين الف ركعة . وشهد ان معلمه الحليس يونان ظهر له بعد سموته  
 مواجهة في اليقظة فلأه ودعاه الى الحياة الدائمة .

وفي سنة ١٥٤٤ توفي الاسقف يوسف الجاجي رئيس الجبا . فخلفه الحليس  
 جبرائيل بن ستية الاهدني رغماً عنه فاقتنى املاكاً كثيرة لدير قزحياً . ولأهم  
 بتوسيع الكنيّة واستصعب قطع الصخر ترى له معلمه الحليس يونان وامره ان  
 ينشر الصخر من غير خشية وان يقيم ثلاثة مذابح على اسم السيدة واسم مار انطونيوس  
 واسم مار مكاريمس فاطاع الحليس واتم العمل في سنة ١٥٤٥ . وكان قشيف العيش  
 كثيراً محناً لتدبير الاخوة . وكان يركع في الصوم الكبير الف ركعة كل يوم وأما  
 في اسبوع الآلام فلا يعلم عدد ركعاته لانه لم يكن ينتقطع عنها من الصباح الى  
 المساء وكان لا يذوق الماء مطلقاً من بدء الصوم الكبير الى خميس الاسرار ومع كل  
 هذه الاعتاب لم ينتقطع عن نسخ الكتب البيعة حتى امتلأ جبل لبنان كتباً من  
 خطه الجليل .

وقال الدرهمي ايضاً : في سنة ١٥٦٠ انتقل الى رحمة الله الحليس ملكا البوقاوي  
 وكان قد مضى له نحو ستين سنة في النك والزهد . اعتزل اولاً في دير قزحياً ثم في

مار دوميط دارياً . ثم في كنيسة السيدة المقطوعة بالثقيف مقابل عرجس . ثم في  
 محبسة مار مخايل في دير قزحيا وكان قدوةً صالحة لكل من ينظر إليه لانه كان  
 يقهر جسده بالجوع والعطش والحفى والمرى ولم يكن ينقطع عن ذكر الله ولم ينظر  
 الى وجه امرأة . ولما كانت محبسة مار مخايل معدومة الماء ولسب سقمه لم يكن له  
 قوة ليستقي من محبسة قزحيا سأل ربه ان يرجمه من تلك المشقة فاخرج له الله من  
 الصخرة ماء جارياً . ولوضع برارته ونسكه وفضيلته شرفه البطرك بدرجة الاستقية  
 في هذه الحياة وجعله الباري بتاج المجد في الحياة الدائمة

وفي سنة ١٥٦٢ يذكر الدويهي ان الحبيس مخايل الرزي . انتخب بطريركاً  
 وقد كان اولاً رئيساً على دير قزحيا وعلى المحبسة لكنه رغبةً في العزلة ترك الرئاسة  
 واقام بمحبسة القديس بيشاي القريبة من الدير . وفي سنة ١٥٨١ صار الحبيس سر كيس  
 اخو البطرك مخايل بطريركاً بعد موت اخيه . وفي تاريخ سنة ١٥٨٥ وقد بالرب القس  
 يعقوب عصاص من بيت الزيات من سر جيل فهذا قد لبس الاسكيم في دير قزحيا  
 وقضى حياته بالنسك والقداسة في محبسة مار سمعان بالتراديس وجسده ما زال  
 سالماً في مغارة مار ادنا هناك لم يعتره فساد

وفي سنة ١٥٩٦ خلف البطرك سر كيس ابن اخيه الحبيس يوسف . وفي سنة ١٦٠٩  
 خلفه العالم يوحنا مخلوف الاهدني وكان قد تنكأ مدة في قزحيا  
 وفي سنة ١٦٣٢ قدم الى لبنان زاهداً في الدنيا الحبيس فرنسيس من بيت جليات  
 الذي دونت مجلّة المشرق سيرته في العام الماضي (٢٠ [١٩٢٢] : ٥٧١ ; ٦٤٩ )

وفي سنة ١٦٦٨ قدم ايضاً من بلاد الافرنج اربعة رجال تجردوا عن العالم  
 وقصدوا خدمة الباري في محبس جبل لبنان : فثبهم من سكن في دير مار آسيا في  
 كفر سارون . ومنهم في دير مار ابون في أرض الحلدث . ومنهم في ديار مار انطونيوس  
 بجوار قنوبين . وامر البطرك جرجس السبلي اناساً يصلحون تلك المواضع ويقطعون  
 عنها الغابات وباخذ ما يحتاج اليه هؤلاء . لتوت اجسادهم من دير الكرسي في قنوبين .

رواه الدويهي

فن كل ما ذكرناه يمكننا ان نتيج : (اولاً) ان الميرة النسكية قديمة في لبنان  
 قد اعتنتها رهبان وخوارنة . (ثانياً) ان المعاجيب قدّمت كثيرين الى الاستقية

والبطركية . (ثالثاً) انا وان لم نكن نعرف اسماء الحبساء ومواطن محابسهم قبل الجبل الثاني عشر للجبل المستحوذ على تلك المصور فع ذلك نقول : انه من الجبل الرابع عشر وصاعداً قد كثرت الحبساء فشادوا محابس عديدة ولاسيما في جبة بشرابي فاضحت تلك الوديان الملوة شوكاً واحراجاً فردوساً روحياً ممتلئاً من ازهار الفضائل وتكاثر القديسون فيها وقامت رائحة قداسهم في الاقطار حتى بلغت الى اوربا فقص بعض من كره العالم الميتة في مناسك لبنان ومحابسا لينجوا على منوال حبساته القديسين

٢ في هيئة المحابس القديمة و كيفية معيشة الحبساء فيها ونوع كسوتهم

أ بعد ان تكلمنا عن قداسة المحابس والحبساء في لبنان يجدر بنا ان نصف هيئة المحابس ونبين كيفية معيشة اولئك الحبساء ونوع كسوتهم وفي ذلك ما فيه مما نهم القراء معرفة ويوقههم على بعض حقائق تاريخية ربما كانت محجوبة عن اذهانهم فتقر بها اعينهم وترتاح لها نفوسهم فنقول : ما كان الحبساء في ذلك العهد البعيد إلا ليؤتمروا الامكنة الوعرة البعيدة عن الناس والصبية المسالك طلباً لسكون البال وروغبة في الابتعاد التام عن العالم وضوضائه فمنهم من كان يسكن الكهوف المنقورة في قلب الصخر تحصناً بها وامتاعاً حتى ان من ينظر اليها وقد استوت استواء عموماً كأنها او كاد النسور المنيعة يقف متهيأ خاشعاً . ومنهم من آثر السكنى في سفوح الجبال او في منطقات الوردية فيصبحون ولا شيء يشغلهم عن تعجيد الله والاتحاد به بصلواتهم وتأملاتهم فيرسلون اصوات الشكر له تعالى مع خرير الماء الذي ينساب في الوديان وتغريد الطيور في افنان الاشجار الثابتة على ضفاف الانهار

على ان بعض هذه المحابس يعز على المرء تسلقها والوصول اليها . وقد حاولت مرة ان ارتقي الى محبة مار دوميط الكاتبة في وطأعرب قرب تنونين ولم اتمكن من الوصول اليها الا بعد شق النفس لاصقاً بالصخر متسكاً بيدي ورجلي متحفظاً تام التحفظ اثلا تزل في القدم فاهوي من ذلك العلو الشاهق الذي يربو على الحسين متراً عن سطح الارض . وكثيراً ما كنت اتعجب مسائلاً نفسي كيف كان يصعد الحبساء الى هذه المحبة ونظائرها كالمحبة التي فوق دير القديس اليشاع في وادي

قاديشا ومحبة مار يعقوب في تنورين السفلى وينزلون منها لاجل اقامة فروضهم الدينية (١) في الدير القريب منها وقضاء حاجاتهم الجدية كاستقاء الماء وتناول الطعام او اعداد المونة

وليس لهذه المحابس المتفرقة في الصخور هيئة الالهية الكهف الذي تألفت منه .  
فمنها ما يمتد من الشرق الى الغرب كالمحابس التي في وادي قاديشا ووادي قزحيا  
ووادي تنورين ومنها ما يمتد من الشمال الى الجنوب كحجبة حوقا والتراديس . اما  
المحابس التي بُنيت في غير الصخور فالتالي في هيتها التربع ووجهة مذابحها الى  
الشرق

ومن هذه المحابس التي بالكهوف ما بُني بالحجر الدنان ومنها باللبن . واما التي  
بُنيت على سطح الارض فبناؤها من الحجر الياوس  
ومنها ما تألفت من غرفة واحدة كحجبة مار دويط المذكورة اعلاه ومنها من  
اكثرت من غرفة كحجبة قزحيا وحجبة مار يعقوب في تنورين السفلى ومار بيثاي  
والفرزل (٢) وغيرها . ومنها ما درست رسوما وعفت آثارها ومنها ما بقيت انقاضها  
كحجبة في جبل مغارة سعيد في خارج تنورين لا يزال اسم تلك الحجبة «الحييس»  
ومنها ما لم يبق منها الدهر غير اطلال الى الآن . ومن هذه المحابس ما كان  
يسكنها حييس واحد ومنها حييسان ام اكثر

اما معيشة هؤلاء الحباش . فكانت من تعب ايديهم . فكانوا بعد التفرغ من  
صراحتهم ورياضاتهم الروحية يمتنون بجرائة بقعة من الارض او بنسخ الكتب او  
بعمال آخر لانق بهم وذي نفع لهم وللحجبة وكان احدهم يصوم اليرم واليرمين  
والثلاثة ويأكل المأكلة المشقة كالحبوب والبقول الا انه لم يكن ليدوق اللحم حياته  
كأها . ويقهر جسده بانواع الامانات والركمات العديدة وضبط الهوى اذ لم يكن لهم  
قانون يتقيدون به بل كل واحد منهم كان يسئ لنفسه قانوناً يشي عليه بما يكون  
قد رآه مناسباً لحاله او يكون أطلع عليه في سير الآباء الناك

(١) ان محبة مار دويط ليس فيها لا مذبح ولا مبد بالقرب منها  
(٢) وقد وصف الاب اليسوعي ألكندر بيركتر ناس فرزل في مجلة الابحاث (Etudes)  
سنة ١٨٦٦ (ج ٨ ص ٦٦-٧٠)

واما كسوتهم فكانت بالاجمال تنمة اللون فاسكيهم كان من نسيج الصوف اسود على شكل اسكيم الرهبان البباد البقيمين الآن في مار دومط البوار والعبأة من الحمام الازرق والاسود والملح من نسيج الصوف البلدي الاسود والنظفة والحذاء من جلد

٢ فهل كان لهؤلاء الحبايا جامعة تجتمعهم بحيث كانوا يرجعون الى دير واحد ويطيرون رئيساً واحداً؟

قد افادتنا حضرة الفاضل الاب لويس بلبيل صاحب تاريخ رهبانيتنا ناقلاً بكلامه عن مؤسس الرهبانية الطيب الاثر المطران عبدالله قراعلي بما حصله : ان الرهبان الموارنة قبل انشاء الرهبانية اللبنانية لم تكن تربطهم وحدة قانون ولا كانوا ينضمون تحت سلطة رئيس عام واحد ولا كانت لهم عيشة واحدة مشتركة في الاديار بل كان كل دير من اديارهم قائماً بذاته لا يشترك رهبان دير مع رهبان دير آخر شي ولا علاقة لدير بدير آخر اية كانت

بل كان يخضع كل الاديار والرهبان والحبايا لولاية الاسقف المكاتبي السدي له عليهم السلطة الروحية المطلقة بحسب ما جاء في المجمع اللبناني (وجه ٤٦٦ ع ٢) ولذلك لما كان احد الشبان يقصد التهرب في دير يابسه الاسقف التوب الرهباني بعد مكثه مدة وجيزة في الدير وقبوله سرّي التوبة والتربان الاقدس من دون ان يبرز نذراً على الصورة التي نذرها نحن الرهبان بل كان يتقيد عملاً بالنذور من غير ابرازها . ولم يكن لهؤلاء الرهبان قانون خاص يجرّون عليه بل كان جل اءامدهم على كتاب يوحنا السلمي وستان الرهبان ووصايا ابينا القديس انطونيوس فيطبّقون سيرتهم عليها ويستقرّ كل منهم في الدير الذي ليس فيه التوب الرهباني بحيث لا يتأتى له ان يخرج منتقلاً من دير الى آخر الأبرضي المتقدم في الديرين

ومتى شاء احدهم ان يصير حياً ينفرد في صومعة قريبة من الدير ولا ينتقل من محبة الى اخرى بلا اذن الاسقف (١٠) . واذا كان الحليس كاهناً فيقيم القداس والفروض الالهية في مبد المحبة . واما اذا كان اخاً فيتحم عليه مطلقاً ان يأتي الدير لحضور القداس واقامة الصلوات القرضية . و نارلة الاسرار ولذلك لا ترى في بعض

المعاشير (١) غير غرفة واحدة لا مذبح فيها ولا معبد وللحيث ان يتخذ طريقة الحياء موقنة او مؤيدة

فنتج مما تقدم ان الحياء الاقدمين لم يكن لهم جامعة تجمعهم ولا كانوا يرجعون الى دير واحد ولا يطيعون رئيساً واحداً بل كانت كل محبة منفصلة عن غيرها بالعيشة والقانون والحيث الذي كان يقطنها يخضع رأساً للاسقف الكاثوليكي ويعيش عيشة خاصة به ويسن لنفسه قانوناً خصوصياً يتشبه عليه ما بقي في محبة

اما قول علامتنا الدويهي ان رئيس محبة القديس سر كين في ارض الحدث كانت له الرئاسة على جميع المعاشير في جبة بشرى فيمكن حمله على كون تلك الرئاسة ليست برئاسة شرعية بل اكرامية اماً نظراً لقدم محبته واما الى تفوق قاطناتها بالتداسة والتفضل لان الحياء - كما يقول المطران قراغلي لم يكن لاحد منهم سلطان على الآخر ولا كان للستقدم فيهم لقب رئيس ولم يكن لمحبة علاقة بمحبة اخرى في تلك الايام بل كان المتقدم في الدير او في المحبة يُدعى باسمه الخاص ولا يعطونه لقب رئيس. ولو كان للستقدم في هذه المحبة المذكورة الرئاسة على المعاشير الاخرى في جبة بشرى لما كان الدويهي نفسه يقول عن الخوري يوان التريتي (٢) انه رئيس الحياء. وقد كان قاطناً في قزحيا وليس في محبة القديس سر كين التي اتضح ان رئاستها لم تكن لها صفة قانونية على سائر المعاشير. والاسقف يوسف الجاجي قد دعاه الدويهي ايضاً رئيس الحياء وهو لم يقطن في محبة القديس سر كين بل في قزحيا. وربما دُعي الحياء يوان رئيساً لكبر سنه وفضيلته والمطران يوسف لكونه اسقفاً او لكون دير قزحيا تفرعت عنه محبة مار ميخائيل ومحبة مار بيشاي وكان سكانها يخرجون منه فيمتي رجوعهم اليه. الا ان الاربع عندي هو ان الدويهي اطلق على هؤلاء لقب رئيس لتقدمهم في المعاشير ولو لم يكن يُعطى هذا اللقب لمن عاشوا في العصور التي سبقت الدويهي

(١) كمحبة مار دومط في وطاجوب

(٢) من المرجح انهم دعوا بالحبيس من كان قد ترهب في احد الاديار ودعوا بالخوري الحبيس الراهب الكامن الذي وجد ان صار حياً رقاها السيد بطريرك الى مرتبة خوري اسقفي